

إن الإيديولوجيا في الرواية إذن تكون عادة متصلة بصراع الأبطال بينما تبقى الرواية كإيديولوجيا تعبيراً عن تصورات الكاتب بواسطة تلك الإيديولوجيات المتصارعة نفسها.

هذه العلاقة الجدلية الموجودة بين الإيديولوجية في الرواية والرواية كإيديولوجيا يمكن أن نجد مثلاً واضحاً لها من خلال نموذج رواي مغربي، وهو رواية «الغربة»⁽⁶⁰⁾ لعبد الله العروي: في هذه الرواية تتصارع ثلاث إيديولوجيات رئيسية يمثل كلاً منها بطل أو عدد من الأبطال، ومبدئياً يمكن وضع التصنيف الثلاثي التالي للشخصيات.

أ - شعيب: يمثل إيديولوجية المناضل الوطني الفاشل. ذلك أنه عندما خاب في نضاله انطوى على نفسه واعتصم بأساطين المسجد وأصبح سلبياً بالنسبة للمجتمع.

لقد لعب شعيب كما يقول ادريس «كل دور، ولبس كل لبوس نطق بكل لغة، وهاجم كل متطاول عنيد، وعندما انطقت المصاييح ودخل كل واحد إلى داره، ونسي هل كانت المسرحية مأساة أم ملهاة توارت أعماله، وبقي فقيراً كباديء أمره» (رواية الغربة، ص: 111).

ب - إدريس - مارية - لارة: هذه الشخصيات في الواقع تمثل إيديولوجية واحدة إذا نحن لم ننظر إلى الجزئيات المميزة لكل شخصية وآرائها التي تنفرد بها. فبالنسبة للصراع الإيديولوجي العام تقف هذه الشخصيات في صف واحد، وعندما ننظر هذه الشخصيات إلى بعضها البعض تظهر الفروق الفردية. وستبين إلى أي حد تلعب هذه الفروق دوراً في بلورة موقف الكاتب أو على الأصح بلورة الرواية كإيديولوجيا.

يتلخص الموقف العام لهذه الشخصيات الثلاث في انتقادهم لإيديولوجيا الاستعمار، وانتقادهم أيضاً لإيديولوجيا الوطنيين الفاشلين. وإذا كانت لارة - وهي فتاة أوروبية - لا يهمها كثيراً أمر هؤلاء الوطنيين الفاشلين فإنها تلتقي مع إدريس ومارية في مناهضة الاستعمار وانتقاد الحياة الرأسمالية.

ج - عمر ويوليوس: ويمثلان في الرواية، إيديولوجيا الاستعمار، على الرغم من أن الأول يقع في الوقت نفسه ضحية لهذه الإيديولوجيا⁽⁶¹⁾. كان عمر يرى أن النضال ضد المستعمر ليس إلا مضيعة للوقت وطريقاً إلى مزيد من سفك الدماء وهو يدافع عن هذا الرأي باسم الرأفة الإنسانية، يقول:

«أظن أننا في العنف نبدد الميراث ونضيق بذور المستقبل وما دورنا نحن إذا لم ننبه

(60) نعتمد هنا على الطبعة الأولى التي صدرت عن دار النشر المغربية، 1971، الدار البيضاء.

(61) فقد ورد في الرواية أنه ضاع في حانات أوروبا، وعجزت صديقتة مريم أن تعيده إليها. انظر رواية الغربة، ص 130.